

## أسرلة القدس

### 1. توطئة

منذ إحتلال إسرائيل لمدينة القدس في منتصف عام 1967 تعرضت المدينة وأكنافها إلى عملية أسرلة وتهويد بغرض فرض وقائع على الأرض من شأنها تغيير جغرافيا الأرض والسكان الأصليين. هذا وإعتمدت عملية الأسرلة على تطوير سياسات وإستراتيجيات تخطيطية ذات أهداف مزدوجة. من جهة، سعت هذه السياسات إلى إحلال واقع يسهل إندماج المستوطنين الإسرائيليين ضمن النسيج العمراني للقدس وضمن معايير عالية من حيث جودة الحياة والرخاء الإقتصادي. ومن جهة أخرى، استخدمت نفس السياسات إلى وضع عراقيل للحد من التطور الإجتماعي والإقتصادي للفرد الفلسطيني، مما أدى إلى خلق جيوب وتجمعات فلسطينية هشة مقارنة بالمستوطنات الإسرائيلية غير الشرعية والتي تستأثر بالدعم والمخصصات اللازمة.

ستقدم هذه الورقة فرصة لفهم السياسات والخطط الإسرائيلية الإحتلالية وأساليب التمييز الممنهجة ضد الفلسطينيين، والمتمثلة بسياسات إدارة وفرز الأراضي التي تسعى إلى تعزيز غلبة يهودية في الشطر الشرقي لمدينة القدس المحتلة، بالإضافة إلى التركيز على تفسير التغيرات الإدارية الموضوعية عنوةً من قبل الإسرائيليين بدايةً من حدود عام 1947 وخطة الأمم المتحدة لما يعرف بـ "كيان مستقل" لمنطقة القدس تحت وصاية دولية، ومروراً بحدود بلدية القدس لعام 1967 والمفروضة من قبل بلدية القدس الإسرائيلية، التي ضاعفت مساحة المدينة بمقدار عشرة أضعاف، وانتهاءً بمخطط القدس 2020 لعام 2000 ومخطط هيكلي محافظة القدس للعام 2008.

وفي نفس السياق، سيتم تقديم تحليل نقدي-إستراتيجي للأدوات المستخدمة على أرض الواقع من المستوطنات الإسرائيلية والجدار العازل وأبعادها على مستقبل مدينة القدس كعاصمة أبدية للدولة الفلسطينية المستقلة. علماً بأن منهجية البحث تعتمد أساساً على مراجعة الأبحاث والتقارير ذات العلاقة وإعتماد نظم المعلومات الجغرافية كأداة تحليلية فاعلة لربط الأبعاد الجغرافية والحيز المكاني مع المعطيات الإجتماعية والبيئية.

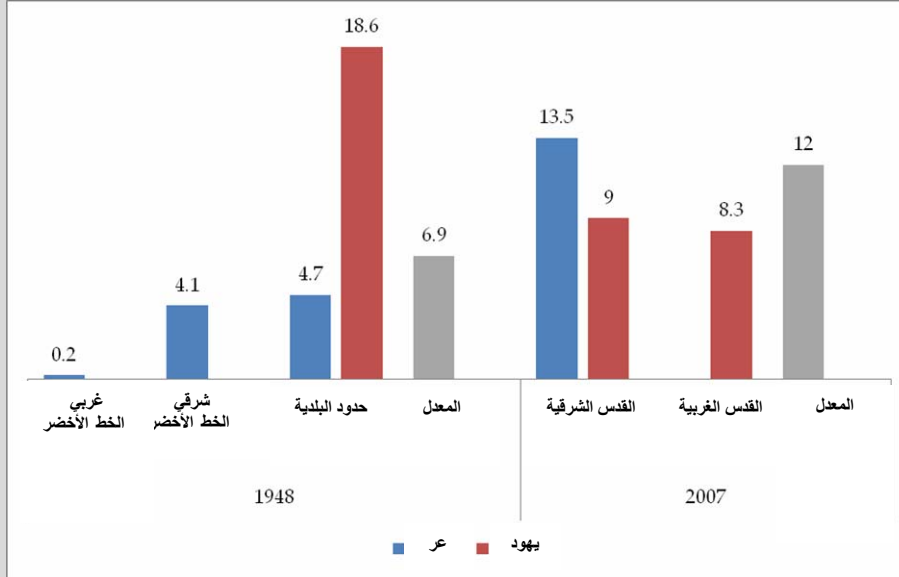
### 2. الحدود الإدارية للقدس في التاريخ الحديث

كانت القدس في أوائل القرن التاسع عشر مدينة صغيرة تمتاز فيها الطوائف الدينية المختلفة من مسلمين ومسيحيين ويهود. وقد وصفها أحد المستشرقين بأنها تتميز عن سائر المدن في الدولة العثمانية بالنظافة وصلابة البناء (منصوص في إسحق 2004 عن روبنسن 1868). أما خلال فترة الإنتداب البريطاني وبعد عام من صدور وعد بلفور (1917) تم إصدار أول مخطط هيكلي للقدس الذي قسم المدينة إلى أربع مناطق: البلدة القديمة ومحيط البلدة القديمة وإعتبرت منطقة حظورة البناء ومنطقة القدس الشرقية التي إحتوت معظم التجمعات الفلسطينية وصنفت كمنطقة محددة البناء في حين صنفت القدس الغربية التي إحتوت الأحياء اليهودية كمنطقة تطوير وإنماء (سمير، 1981). وفي عام 1947 قامت سلطات الإنتداب البريطاني بإعادة رسم حدود بلدية القدس لتضم أكبر عدد من المستوطنات اليهودية في القدس الغربية، مثل: مستوطنتي بيت هكريم ورامات راحيل اللتين تبعدان أكثر من 4 كيلومترات عن البلدة القديمة فيما تركت منطقتي سلوان والطور الواقعتان في منطقة القدس الشرقية والمتاخمتان لأسوار المدينة خارج حدود البلدية، وذلك بقصد إحداث اضطراب في جيوديموغرافيا المدينة لصالح اليهود، مما أدى إلى ظهور ذلك الشكل الغريب لحدود البلدية بالذراع الممتدة غرباً (خريطة 1).

نتيجة لإرهاصات حرب 1948، قسمت المدينة عن طريق تفعيل أحكام وضعية إلى شطرين: حيث بقي الشطر الشرقي تحت الإدارة الأردنية (1948-1967) وإنعزل الشطر الغربي عن عمقه التاريخي ليقع تحت سيطرة الإحتلال الإسرائيلي (1948- حتى الآن) ويتم تفرغ السكان الفلسطينيين منه. هذا ويذكر أنه في عام 1947 أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 181 والذي دعى إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين: واحدة يهودية وأخرى للعرب، على أن يتم تدويل مدينة القدس ومحيطها لتصبح ذات "كيان مستقل" تحت إشراف الأمم المتحدة. هذا وبعد حرب عام 1948، استطاعت إسرائيل إحتلال 78% من أراضي فلسطين التاريخية وتدمير 419 قرية فلسطينية وتهجير أهاليها الذين تجاوز عددهم 900,000 لاجئ فلسطيني (قاعدة بيانات أريج، 2009).

إن محور الصراع الحالي في القدس هو صراع ديموغرافي-جغرافي تسعى إسرائيل من خلاله إلى تفرغ المدينة من سكانها العرب الفلسطينيين وبالمقابل تعمل على زيادة التواجد اليهودي الإسرائيلي فيها. إن دراسة الواقع الديموغرافي لمدينة القدس وضواحيها يؤكد على أن التجمعات والأحياء اليهودية تركزت داخل حدود بلدية القدس للعام 1947 وكانت تمثل أربعة أضعاف التجمعات والأحياء العربية المتواجدة داخل حدود البلدية، علماً بأن التجمعات العربية إنتشرت في القدس الشرقية والغربية مثل سلوان والطور شرقي الخط الأخضر وبيت صفافا والمالحة غربي الخط الأخضر وهي تلك المناطق التي عمدت السلطات البريطانية على إبقائها خارج حدود البلدية (شكل 1). على أية حال، إنطلاقاً من أن مدينة القدس تزرع تحت الإحتلال، فإن التواجد اليهودي فيها كان على حساب التواجد الفلسطيني علماً أن التواجد اليهودي في القدس الشرقية قبل عام 1967 لم يتجاوز عدة مئات (هودكينز، 1998). وفي حين أن سلطات الإحتلال الإسرائيلي لم تعلن ضمها لأراضي الضفة الغربية إلا أنها سارعت إلى ضم القدس الشرقية إلى إسرائيل وإعلان توحيد شطري القدس، حيث أنه في عام 1980 أقر الكنيست الإسرائيلي قراراً يعلن القدس الموحدة العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل وكأكبر مدينة إسرائيلية، حيث أدى هذا الضم إلى توسيع حدود المدينة من 6.5 كم<sup>2</sup> (تضم البلدة القديمة) لتصل إلى 71 كم<sup>2</sup> (خريطة 1).

شكل (1): نسب توزيع إجمالي الكثافة السكانية داخل الحدود المعلنة إبان حرب 1967 (سكان/دونم) (2007-1948)

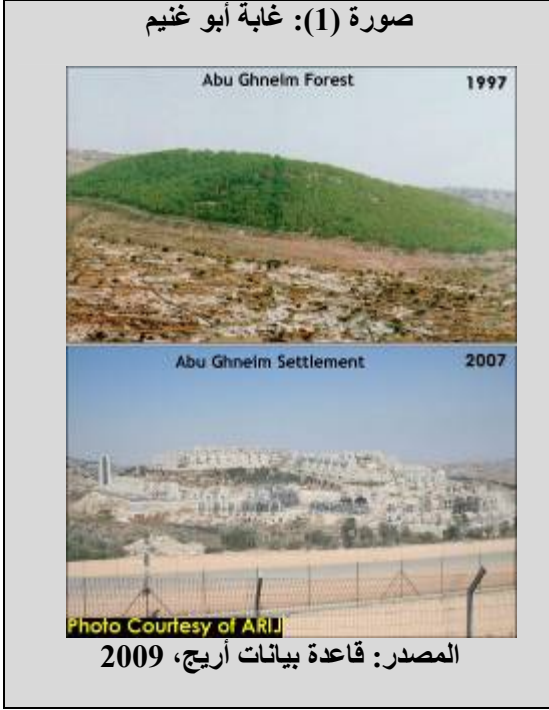


المصدر: (هودكينز، 1998: الجهاز المركز للإحصاء الفلسطيني، 2007: الجهاز المركزي للإحصاء الإسرائيلي، 2007)

إن الحدود الإدارية أحادية الجانب لمدينة القدس والمعلنة من بلدية القدس الإسرائيلية لم تقم على إعتبارات فنية تخطيطية بل على إعتبارات سياسية إستيطانية لضمان غلبة ديموغرافية يهودية في المدينة المقدسة. حيث أن كوهين (1993) قد عبر عن هذه الأهداف صراحة معلناً أن الهدف الرئيس من الحدود المقترحة هو الإستيلاء على أكبر نسبة من الأراضي وأقل نسبة من السكان الفلسطينيين الأصليين. ولهذا فإن الحدود المقترحة الجديدة إستثنت التجمعات السكانية الفلسطينية (السكان وليس الأرض) في الشمال كقرية بيت إكسا وبيت نبالا، وقامت بضم أراضي التجمعات الفلسطينية ذات الكثافة السكانية الأقل في الجنوب مثل بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور.

في عام 1993 أحدثت السلطات الإسرائيلية توسعاً جديداً في المدينة المقدسة حيث أصبحت مساحتها تقارب 130 كم<sup>2</sup>. وفي عام 2005 أقرت لجنة تخطيط المدينة وبلدية القدس المخطط الهيكلي "القدس 2000-2020" والذي يوسع الحدود الغربية للمدينة بحوالي 40%، ووفقاً للمخطط فإن أكثر من نصف الجزء الشرقي من القدس صنف على أنه مناطق مبنية وصنف حوالي 24.4% كمناطق خضراء وساحات عامة، يمنع البناء فيها على الفلسطينيين (قاعدة بيانات أريج، 2009).

### صورة (1): غابة أبو غنيم



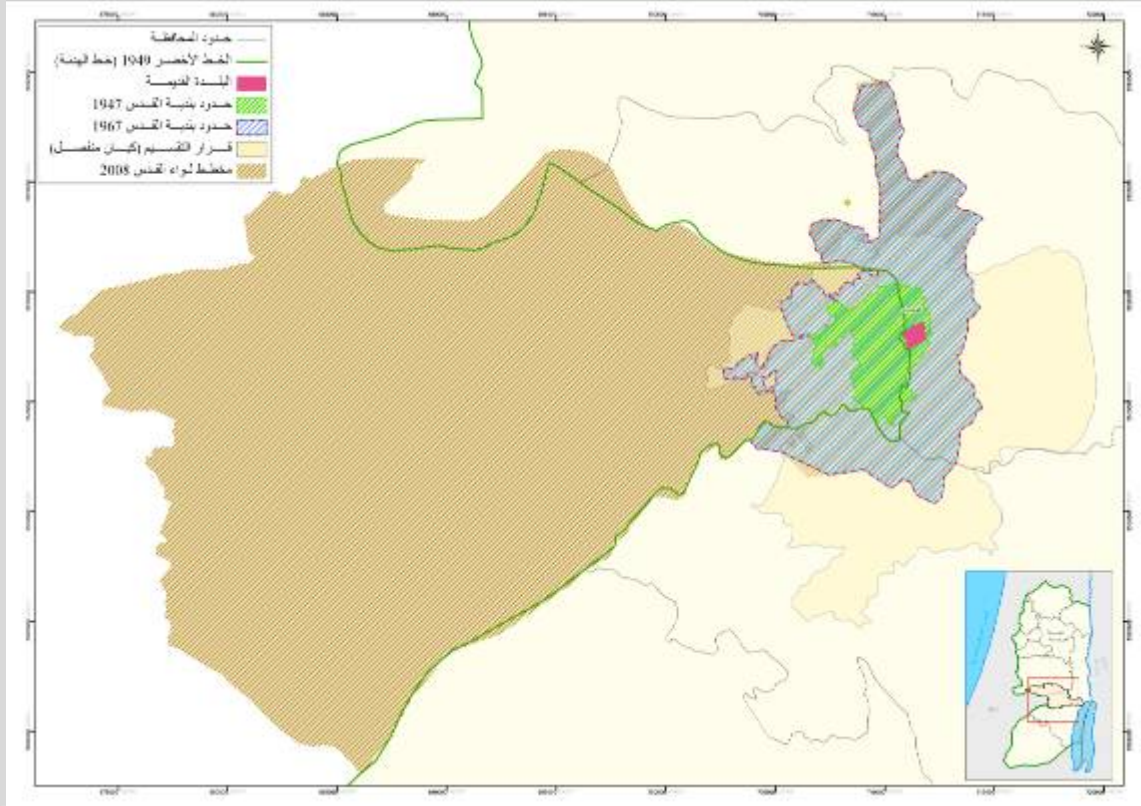
وبالطبع فإن هذه التصنيفات لاستخدامات الأراضي تتغير وفق الحاجة الإسرائيلية، حيث عمدت السلطات الإسرائيلية إلى إعلان العديد من مناطق القدس الشرقية كمناطق طبيعية وساحات عامة بهدف مصادرتها ومن ثم تقوم بتغيير تصنيف تلك الأراضي وتحويلها إلى مناطق سكنية للمستوطنين اليهود في المدينة، ولعل أوضح مثال على ذلك ما حصل في جبل أبو غنيم الذي غير الإسرائيليون تصنيفه من منطقة خضراء إلى مستوطنة هار حوما السكنية. إن هذه الممارسات الإسرائيلية ينطبق عليها نظرية عالم الاجتماع **سالمون (2002)** والمعروفة بـ "الخوف من الفضاء". حيث أن الممارسات الإسرائيلية تقوم وبشكل إستراتيجي وممنهج إلى محو الهوية الفلسطينية وليس تقسيم الأراضي الفلسطينية فقط (صورة 1).

وفي فصل جديد من فصول السياسات الاستعمارية الإسرائيلية في القدس، تم الكشف في أيلول 2008 عن مخطط إقليم القدس والذي يؤكد على تحقيق الحلم الصهيوني بدولة إسرائيلية يهودية وعاصمتها القدس الكبرى. هذا وينطبق وصف عالم الجغرافيا الإسرائيلي

أورن يافتيخاينيل لهذه الممارسات التي لا تقيم وزناً لحل الدولة أو الدولتين بل أن هذه السياسية عبارة عن "زحف فصل عنصري". و يأتي هذا المخطط بعد أكثر من خمسة عقود على أول مخطط إقليمي للقدس، والذي أعده الخبير البريطاني كندل تحت اسم RJ5 ، علماً بأن هذا المخطط موجود في قاعدة بيانات دائرة الجغرافيا في الجامعة العبرية منذ العام 1977.

إن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة وبعد سيطرتها على الشطر الغربي من مدينة القدس، قامت بانتزاع ملكيات الفلسطينيين فيها والمقدرة بـ 40% من المساحة الكلية للمدينة (**هالبر، 2000**) وذلك بتطبيق قانون الغائبين للعام 1950. ولكن المفارقة تكمن أن هذه الحكومات قامت بإرجاع ممتلكات اليهود لأصحابها في الشطر الشرقي للقدس والذي تعذر الوصول إليه في الفترة الواقعة (1948-1967) لوقوع هذا الجزء تحت الوصاية الأردنية. هذا وقد قامت القوات الإسرائيلية الإحتلالية بعد العام 1967، بتفعيل أوامر الإنتداب البريطانية المتعلقة بالأراضي لتسيطر على ما نسبته 85% من أرضي القدس الشرقية المحتلة (**إسحق، 2007**)، تاركين الفلسطينيين بدون أي حيز لازم للإستجابة لنموهم الطبيعي.

### خريطة (1): التغيرات في حدود القدس بين الاعوام 1947 – 2008



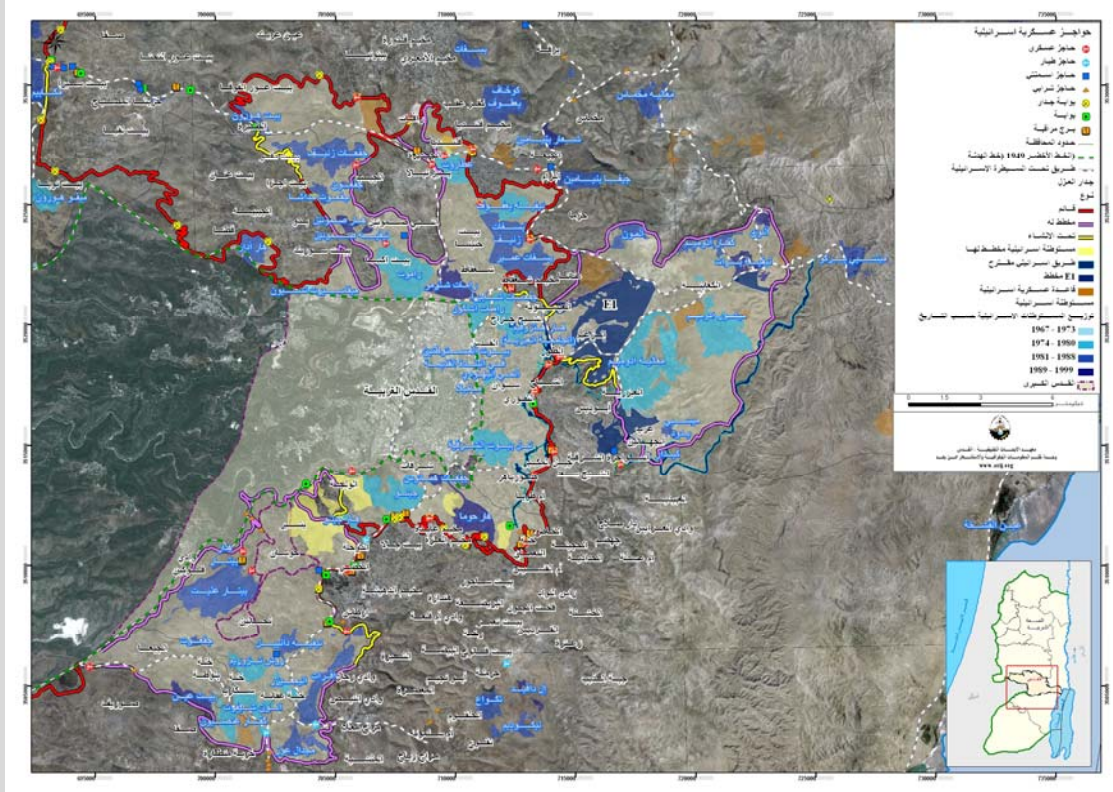
المصدر: وحدة نظم المعلومات الجغرافية-أريج، 2009

### 3. الديموغرافيا تحدد الجغرافيا: الجدار العازل

في أوائل الثمانينات من القرن الماضي تصافرت جهود الحركة الإستيطانية في توسيع المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة بشكل عام وفي القدس ومحيطها بشكل خاص بهدف فصل القدس عن الضفة الغربية وزيادة نسبة السكان اليهود فيها. إن التوسعات الإستيطانية في منطقة القدس جاءت ضمن خطة "القدس الكبرى" التي تعتبر من أخطر المخططات الإستيطانية، حيث أن البعض لخص الإحتلال في هذه الخطة مثل **جف هالبر (2000)** وذلك لأن المخطط يضم ما تزيد نسبته 65% من إجمالي مستوطنين الضفة الغربية (**قاعدة بيانات أريج، 2009**). وفي نفس السياق، في عام 1995 أعلن إسحق رابين مخطط E1 كتوسعة لمستوطنة معالية أدوميم بمساحة 6,100 دونم والتي ستضم مخططات لبناء 3,500 وحدة إستيطانية جديدة بقصد وصل أكبر الكتل الإستيطانية في مدينة القدس والقضاء على حلم الفلسطينيين بتشكيل دولة متصلة جغرافياً وتملك مقومات التنمية المستدامة.

في منتصف 2003 بدأت قوات الإحتلال الإسرائيلي في تطبيق خطة الفصل أحادي الجانب في منطقة القدس، بهدف الإبقاء على الأحكام الوضعية التي تشكل الوضع السياسي في المدينة وتحويلها إلى عاصمة الشعب اليهودي الأبدية كما أقرها الكنيست الإسرائيلي في قراءة أولى في منتصف عام 2008. يؤكد مسار الجدار العازل في منطقة القدس على مضمون خطة "القدس الكبرى"، حيث أن مسار الجدار المعلن عنه يضم ثلاثة من أكبر الكتل الإستيطانية في

## خريطة (2): مخطط القدس الكبرى



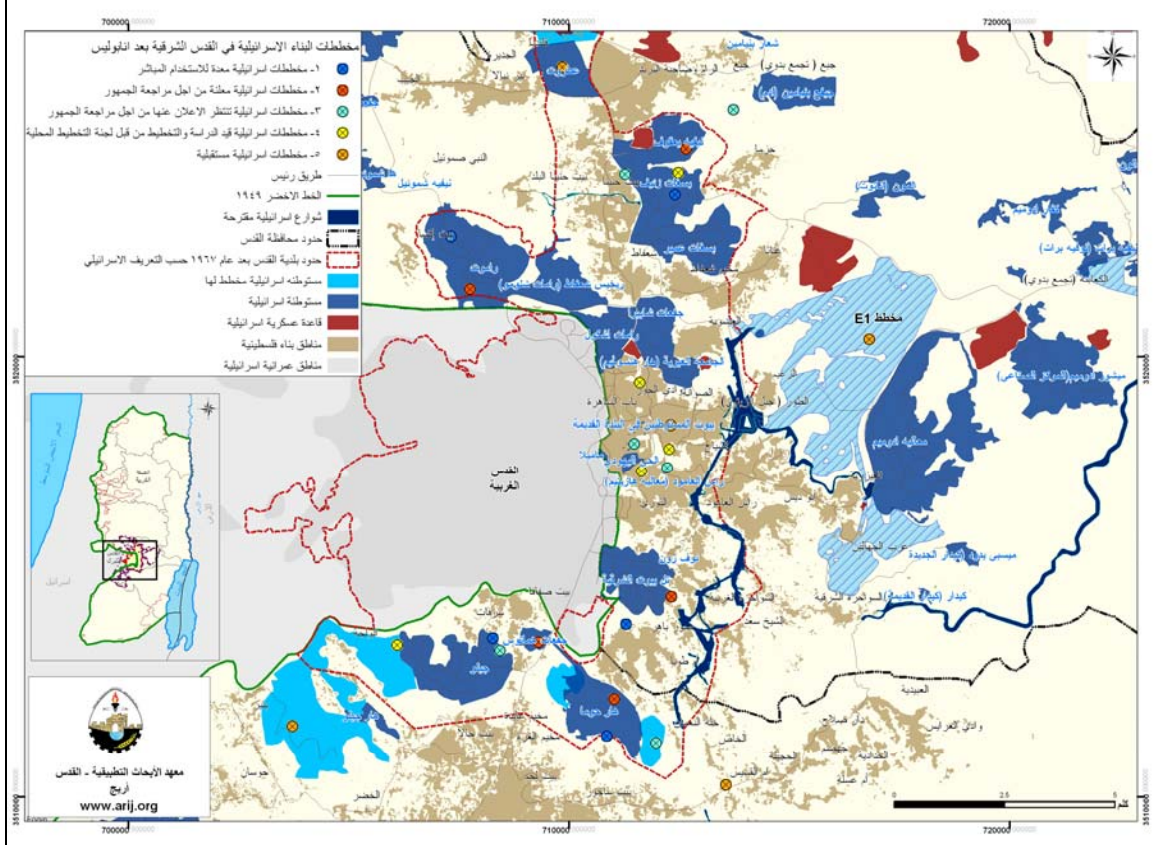
المصدر: وحدة نظم المعلومات الجغرافية-أريج، 2009

كما هو الحال في المخططات الإسرائيلية الإستيطانية في القدس ومحيطها فإنها تسعى دوماً إلى التلاعب في المعطيات على الأرض، فهي تهدف إلى ضم أرض بلا سكان. لهذا فإنه وضمن المسار المعلن للجدار العازل في منطقة القدس سيتم إستثناء ما يقارب 112,000 فلسطيني يقطنون في الرام وحزما وعناتا ومخيم شعفاط والسواحة الشرقية والشيخ سعد والعيزرية وأبوديس بكثافة سكانية تصل إلى 12,500 شخص/كلم<sup>2</sup> (قاعدة بيانات أريج، 2009)، على أن يتم ضم ما يقارب 142,000 مستوطن ضمن المخططات الإستيطانية التوسعية في جفعات يائيل وطاروت-قلنديا وشرقي وغربي أبو غنيم بالإضافة إلى مخطط E1. نتيجة لهذه الخطط فإن الميزان الديموغرافي في منطقة القدس الكبرى جراء الجدار العزل سوف يجعل نسبة السكان الفلسطينيين إلى المستوطنين اليهود 76:24.

ومن الجدير ذكره أن مخططات الإستيطان في القدس الشرقية لم تتوقف بل إزدادت بعد توقيع إتفاقيات السلام. فمثلاً منذ إنعقاد مؤتمر أنابوليس في تشرين ثاني 2007 أعلنت الحكومة الإسرائيلية عن مخططات لتوسيعات إستيطانية مستقبلية تقارب 50,000 وحدة سكنية، منها توسعات جاهزة للتنفيذ 4,490 وحدة سكنية وتوسعات مودعة

5,884 وحدة سكنية وتوسعات تنتظر الإيداع للجمهور 4,093 وحدة سكنية، إلى غير ذلك (قاعدة بيانات أريج، 2009) (خريطة 3).

### خريطة (3): مخططات التوسع الإستيطاني في القدس الشرقية بعد أنابولس



المصدر: وحدة نظم المعلومات الجغرافية-أريج، 2009

#### 4. الخلاصة

إن الإحتلال الإسرائيلي غير الشرعي لمدينة القدس، يعد إنتهاكاً واضحاً وساخراً لكل المواثيق الدولية ومن ضمنها القانون الدولي الإنساني التي تعتبر إسرائيل دولة عضو فيه. هذا وتشمل الانتهاكات الإسرائيلية للقانون الدولي الإنساني الالتزامات بحظر على عمليات الترحيل وعمليات نقل السكان المدنيين، تدمير الممتلكات المدنية والصورة غير الشرعية في إعاقة حرية التنقل والحق في العمل، الصحة، التعليم، والسكن اللائق.

علاوةً على ذلك، فإن عوامل إتساع رقعة المستوطنات وبناء الجدار العازل والشوارع الالتفافية والتي من شأنها خلق المدينة كتحذد للقوانين الدولية وقرارات الأمم المتحدة بما فيها قرار مجلس الأمن الدولي رقم 446 (1979) والذي ينص على أن سياسة وممارسات إسرائيل في إقامة المستوطنات في الأراضي الفلسطينية والأراضي العربية المحتلة منذ عام 1967 هي سياسات لا يوجد لها أرضية قانونية وتشكل عقبة في سبيل تحقيق سلام عادل وشامل ودائم في الشرق الأوسط. وأيضاً قرار مجلس الأمن رقم 452 (1979) الذي يدعو حكومة وشعب إسرائيل إلى الوقف الفوري

معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج)  
ص.ب 860 ، شارع الكاريتاس  
بيت لحم ، فلسطين  
هاتف: +972-(02)-274-1889  
فاكس: +972-(02)-277-6966



إن السياسات الإحتلالية على أرض الواقع قد طبقت من خلال توظيف المعرفة في مجالي العمارة والتخطيط. وبالمقابل، فإنه من الممكن استخدام الأنظمة والضوابط نفسها التي استخدمها الإحتلال الإسرائيلي كأداة للمقاومة "الواقع يجب أن يتم اثباته لا إستيعابه" (سعيد، 2000). لهذا، يجب بذل المزيد من الجهود المتضافره من الفلسطينيين للكشف عن وسائل المقاومة السلمية والعلمية لدعم نضالهم ضد ممارسات الإحتلال الاسرائيلي، وبدعم من العالم العربي وحركات التحرر في العالم خصوصاً في ظل البيئة المؤاتية حيث أن القدس هي عاصمة الثقافة العربية 2009.



## 5. المصادر والمراجع:

- إسحق، جاد و سلمان، نائل (2004). القدس: وتحديات طمس الهوية. بيروت: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- جريس، سمير (1981). القدس: المخططات الصهيونية، الإحتلال، التهويد. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- قاعدة بيانات أريج، وحدة نظم المعلومات الجغرافية (2009).
- Abdel Jawad S. (1997) “The Zionist Scheme for the Destruction of the Palestinian Society”. Conference: 100 years after Basel.
- Cohen, S.E. (1993), “The Politics of Planting: Israeli–Palestinian Competition for Control of Land in the Jerusalem Periphery,” pp. 78. Chicago: The University of Chicago Press.
- Halper, J. (2000) “The 94 Percent Solution: A Matrix of Control”. Middle East Report, 216, pp. 14-19. <<http://www.cbs.gov.il/ishuvim/ishuv2006/bycode.xls>>.
- Israeli Central Bureau of Statistics- ICBS (2007).
- Issac J. et. al. (2007) “De-palestinization of Jerusalem”. (Unpublished).
- Palestinian Central Bureau of Statistics- PCBS (2006). <[www.pcbs.gov.ps](http://www.pcbs.gov.ps)>.
- Said E. (2000) “The End of the Peace Process: Oslo and After”.
- Salmon C. (2002) “The Bulldozer War.”  
<<http://www.counterpunch.org/salmon0520.html>>
- United Nations General Assembly “Resolutions Archive”  
<<http://daccessdds.un.org/doc/RESOLUTION/GEN/NR0/038/88/IMG/NR003888.pdf?OpenElement>>